جامعة الجزائر 3

كلية علوم الإعلام والاتصال

وحدة : المدخل إلى علوم الإعلام والاتصال

السنة الجامعية 2019 / 2020

الأستاذ مراد قاصد

التطور الحضاري لوسائل الاتصال الجماهيرية(النشأة، التطور، التحولات والتحديات)

تمهيد

يختلف المجتمع الحديث عن المجتمعات التاريخية القديمة في جانبين أساسيين، وهما: أولاً: قوة التكنولوجيا الصناعية التي تتمثل في الإنتاج الضخم، والميكنة، وتقدم وسائل المواصلات، ثانيًا: وجود نسق معقد للاتصالات الجماهيرية التي تتمثل في الصحافة والإذاعة والتلفزيون، وكافة الوسائل الأخرى المشابهة، وهذان الجانبان لا ينفصلان، بل إن الجانب الثاني يرتبط بالجانب الأول ارتباطًا وثيقًا ولا يقل أهمية عنه، والواقع أنه لا يمكن إدراك دور الاتصال في المجتمع الحديث إلا بإلقاء الضوء على شكل الاتصال السائد في الفترات التاريخية الماضية، وهى قضية لاقت اهتمامًا كبيرًا من جانب علماء الاجتماع والمؤرخين وعلماء الاقتصاد.

يجمع علماء الاجتماع والمؤرخون على أن الاتصال الإنساني . بمعناه الواسع . قديم قدم الوجود الإنساني ذاته، فعملية الاتصال قامت عليها الجماعة الإنسانية الأولى، وقد خطى الإنسان بواسطة هذه العملية أولى خطواته على درب الحضارة الطويل، فكان الاتصال في الجماعة الإنسانية الأولى وسيلة الإنسان في إشباع احتياجاته المباشرة، قبل أن يكون له فكر يدخل في نطاق الأيديولوجيات، وقبل أن يتعقد المجتمع على نحو يجعل إدارته تقوم على أساس علاقات القوة Power Relations، ثم تطور الإنسان وقطع أشواطًا طويلة في طريق الحضارة، وكبر المجتمع الإنساني وتطور من الجماعات البسيطة إلى الجماعات الكبيرة، إلى المجتمع الأكبر، ثم إلى الدولة المترابطة، وما كان يحدث كل ذلك التطور دون قنوات معقدة من الاتصال على كافة المستويات.

لقد ارتبط الاتصال بالبنية الرمزية التي ابتكرها الإنسان، وكان الكلام أحد أهم عناصر هذه البنية، ولم يستطع أحد التوصل إلى أصول الكلام البشري بشكل دقيق، وتفترض معظم التخمينات والتأويلات أن البشر كانوا يعيشون في تجمعات صغيرة منذ مئات الآلاف من السنين، وفي وقت ما بدأوا يستخدمون أدوات بسيطة، و أنشأوا تقسيمات بدائية للعمل تعتمد على تخصيص المهام، وحتى في

هذه الفترة فثمة افتراض أن الاتصال لعب دوراً رئيساً في تحديد المهام التي يتوقع أن يقوم بها الأفراد في التنظيم الاجتماعي، وفي نقل الخبرات المتراكمة للجماعة إلى الجيل التالي، فالبشر الأوائل كانوا يعتمدون على الاتصال للحفاظ على البناء الاجتماعي. كما نحن اليوم.

إن إحدى الإشكاليات الأساسية التي طرحتها علوم الإعلام، أن وسائل الاتصال تؤثر في جمهورها تأثيرا بالغا كما تؤثر في المجتمع ككل،وما لا نفهمه على الوجه الأكمل هو كيف يكون هذا التأثير وما هو مدى الذي يصل إليه، المنطلق يكون كيف يحدث الإعلام، وما هي نتائجه بالنسبة لكل من الفرد والنظام الاجتماعي على حد سواء.

إن الظهور والتطور السريع لو سائل الإعلام باعتبارها أحد المجالات العديدة للتقدم الجوهري الذي طرأ على قدرة الإنسان ككائن حي في الاتصال. وان التغيرات الثورية في قدرة الناس على الاشتراك مع الآخرين في فهم المعاني، كان لها بحق تأثيرات قوية على تطور الفكر والسلوك والثقافة. يكون من الملائم الانطلاق من البداية وتتبع أين ومتى بدأ الاتصال الإنساني وكيف حدثت فيه طفرات في عصور مختلفة خلال المسار الطويل للتاريخ وما قبل التاريخ.

ومن أجل فهم الآثار التي خلفتها عوامل الاتصال على الوجود الإنساني خلال العصور المتتابعة، فانه يتعين مناقشة أنشطة الحياة اليومية للبشر خلال كل عصر بأنظمة الاتصال السائدة في ذلك العصر، ،أننا نفترض أنه مع تطور الجنس البشري، تطورت أيضا قدرة الانسان على الاتصال.ومع تطور المجتمع الإنساني، وظهور الحضارات الإنسانية العريقة، تطورت بالتالي وسائل الاتصال بين أفراد المجتمع.

مقدمة :

إن رغبة الإنسان و قدرته على مشاركة الآخرين له في فهم المعاني، دفعه إلى إحداث ابتكارات عملاقة و عميقة مترجمة على شكل وسائل، لعل أهمها وسائل الاتصال الجماهيرية، مما أدى إلى إحداث تأثيرات عميقة و قوية على تطور الفكر و السلوك و الثقافة، و لفهم ذلك لابد من العودة إلى مراحل نشأة و تطور و فهم الخصوصيات الحضارية لهذه الوسائل، حيث كان لكل مرحلة نتائجها العميقة سواء على مستوى الفرد أو المجتمع.

و يطلق الكثيرون على وسائل الاتصال MediaMass أي الوسائط الجماهيرية، و لا يوجد خلاف على جماهيريتها و خصائصها و أنها تهدف جماهيري واسعة غير متجانسة منتشرة في أماكن واسعة غير محدودة في الزمان و المكان، و هي وسائل غير مراجعية (رجع الصدى فيها ضعيف) و هي متعددة لعل أشهرها، الصحافة المكتوبة، الإذاعة، السينما و التلفزيون.

في منتصف القرن الخامس عشر في 1455 بمدينة **مينز** الألمانية، انتقلت الإنسانية إلى عصر الطباعة، حين اخترع **يوحنا جوتنبرغ** المطبعة بالحروف المعدنية المنفصلة، وكانت الانطلاقة بطباعة الكتاب المقدس بإيطاليا. أما بالنسبة للمنطقة العربية فكانت مدينة حلب السورية أول مدينة عربية يطبع فيها كتاب بالحروف العربية سنة 1706 م، ثم تلتها قرية لبنانية سنة 1734 م. ثم انتقلت الطباعة بشكل سريع إلى جميع أنحاء أوروبا ثم إلى مناطق أخرى من العالم، و بذلك اعتبرت الطباعة أول ثورة تشق طريق وسائل الاتصال.

و مع بداية القرن التاسع عشر شهدت الإنسانية تطورات هائلة في مجال الاتصال ثم الاتصال الجماهيري، بظهور الصحف التي تخاطب الطبقات الشعبية و بعض الوسائل التي أسهمت في سرعة الاتصال مثل، التلغراف التلفون، السينما و الراديو. و في منتصف القرن العشرين واصلت تكنولوجيا الاتصال تدفقها بدخول الإنسان عصر المعلومات نتيجة المزج بين تكنولوجيا الحاسبات الالكترونية

وتكنولوجيا الأقمار الصناعية، و بذلك تكون قد دشنت عهدا جديدا، هو عهد الأقمار الصناعية و الاتصالات الكابلية و القنوات الفضائية و البث المباشر و الاتصالات عبر الشبكات العنكبوتية. لتستمر هذه الثورات و الموجات على حد تعبير **Alvin Toffler** مع مطلع الألفية الجديدة، لتعرف بداية قوية لما يعرف بعهد شبكات التواصل الاجتماعي. وهكذا فإن تاريخ الاتصال الإنساني عبارة عن حلقات متصلة ومركبة من أنظمة الاتصال وليس مجرد انتقال من مرحلة لأخرى.

مراحل تطور الصحافة المكتوبة وخصائصها :

مرحلة النظام السلطوي(1500م-1700م) : صحافة النخبة

نقصد عند الحديث عن المنظور السلطوي، تلك النظرية التي كانت سائدة في أوربا الغربية بين عام 1500و 1700 و هي التي تعرف في التاريخ الأوربي بالقرون الوسطى .وتقوم هذه النظرية على ثلاثة ركائز أساسية وهي:

- مذهب الحقّ الإلهي والذي اعتمد عليه الملوك في الحكم وتوارثه النبلاء.
- الكنيسة التي تزايدت قوّتها في العصور الوسطى. واعتبرت نفسها مصدر التفويض الإلهي ...فتمكّنت بذلك من السيطرة على الرأي وعلى حقّ التعبير.
- التاريخ الطويل للفلسفة السياسية لفكرة التسلطية ة التي– الفلسفة –تعتبر الركيزة الأساسية لهذا المنظور.

أوّلا: الفرد و الدولة في المنظور السلطوي :

ترى النظرية السلطوية بأنّ المواطنين عليهم طاعة السلطة و خدمتها، و أنّ السلطة تسبق الفرد في ميزان قيم المجتمع. و تعود خلفية هذه النظرية، و نظرتها لقدسية الدولة (السلطة) ، إلى مساهمات عدّة فلاسفة ، و مفكّرين منهم أفلاطون الذي يرى بأنّه لا يمكن لكلّ الأفراد المساهمة في السلطة ، فهو

يقول " إذا كانت هناك مشاركة بالمثل في الدولة الواحدة فإنّها ستعرف التفكّك لا محال". و على هذا فإنّ هناك صفوة داخل المجتمع ، و هي التي تمتلك السلطة و لها الحقّ في إقرار القوانين و تنفيذها وإن كانت خاطئة.

بالإضافة إلى أفكار أفلاطون التي تمتدّ إلى العهد اليوناني فإنّ أفكار "**ماكيافيلي**" *(N.Machiavelli) و" **هوبز**" (Hobbs .T) قد أعطت الدعائم النظرية لهذا النظام ، من حيث إعطاء الأولوية في نظام القيم الاجتماعية إلى السلطة ، و الدولة ، و أنّ الفرد عليه أن يخدم هذه الأخيرة للحفاظ على سلامة النظام و استقراره. هذا يؤكّده "هيجل" في قوله " أنّ الدولة هي روح الأخلاق و أصل القيم، و هي المشيئة و العقل.

أمّا "**هوبز**" فإنّه يرى بأنّ الدولة لا تستطيع أداء مهامها إلاّ إذا كان الحاكم يتمتّع بسلطة كاملة غير محدودة، فإذا كان الإنسان بطبعه أناني، و يبقى دائما كذلك، فإنّ العامل الوحيد الذي يمكن أن يجمع شملهم بفاعلية هو السلطة المركزية المتمثّلة في هيئة الحاكم. و اعتبر أنّ التصوّر السلطوي لما هو أخلاقي – أي من حيث الطابع الإلزامي للقوانين الأخلاقية - يتوقّف على رغبة الله أو الحاكم، و أن الحاكم في نهاية الأمر هو الذي يؤوّل القوانين الإلهية، و عليه فإنّ مصدر الأخلاقي و الاجتماعي يتمثل في سلطة الحاكم.

وانطلاقا من هذه الخلفية النظرية، فإنّ الدولة في الأنظمة السلطوية، تسبق الفرد في ميزان قيم المجتمع. و أنّ الصفوة في السلطة هي أكثر ذكاء من غيرها، و أنّها تملك الحكمة و الخبرة و المعرفة دون غيرها. و تعمل هذه الأنظمة على الحفاظ على الأمر الواقع.

ثانيا: <u>الحقيقة و مصدرها في النظام السلطوي</u> :

تعتمد الحقيقة في المنظور السلطوي على التفويض الإلهي، أو على حكمة جنس معيّن، يعتبر نفسه أعلى من الأجناس الأخرى، أو أكثر حكمة منهم ... فالحقيقة تتمثّل في القدرة الخارقة للقائد،

أو لجماعة معيّنة يفترض أنها تفهم المخاطر، و تدرك إمكانيات تجاوزها. و تعتبر الحقيقة في المجتمع – أكثر من غيره – احتكارا على قلّة تعتبر نفسها حكيمة، و ترى أنّ من حقّها توجيه الجماهير... و معنى هذا أنّ الحقيقة تتمركز حول مراكز القوة و السلطة و لا تكون أبدا نتاج جماهير عريضة من المجتمع إنّ رأي الأقلّية الصالحة (good men) هو الذي يستحقّ فقط التقدير ة الأخذ بعين الاعتبار، ومن ثمّ يتعيّن عدم الاكتراث برأي الأكثرية ... لأنّ الحقيقة ليست في متناول العامة، و أنّ الاقتراب منها يتطلّب الارتقاء إلى الحاجة الفكرية التي لا يمكن أن يخوض فيها إلاّ الخاصة من الفلاسفة – عند أفلاطون – و رجال الدولة، و السياسة و غيرهم ممّن يمثّلون النخبة في المجتمع.و إذا كانت الحقيقة هي حقيقة الدولة، ليس كما يراها أو يتصوّرها الأفراد، فإنّ التغيير في إطار الأنظمة السلطوية يكون غير مرغوب فيه، و الاستقرار و المحافظة على الأمر الواقع يتحوّل إلى فضيلة في حدّ ذاته.

ثالثا: <u>نمط الملكية و الرّقابة في النظام السلطوي</u> :

1 - <u>مفهوم الرّقابة:</u>

يعني مفهوم الرّقابة، ضرورة حصول مواد النشر أو التوزيع العام على رخصة مسبقة، كما يشمل العقاب نشر مواد غير مرخّصة. و كان هذا النمط ممارسا في الأنظمة السلطوية. أمّا حاليا فإنّ مفهوم الرقابة يستعمل للإشارة إلى جميع أشكال الرقابة سواء تعلّق الأمر برقابة الترخيص أم بأمور أخرى. و يعرّف **"لاسويل"** الرقابة على أنها **سياسة التضييق (restricting) على التعبير العام العلني للأفكار (ideas) ، و الآراء (opinions) ، و التصوّرات (conceptions) ، و الدوافع (impulses) التي يعتقد بأنّ لها القدرة على الإضرار (undermine) بسلطة الحكّام).**

ترجع ملكية وسائل الإعلام في النظام السلطوي للإعلام إلى الدولة، بحكم أنها مصدر الحقيقة والمعرفة، و هي التي لها الأولوية في نظام قيم المجتمع، و في تصوّر هذا النظام لا يمكن السماح

بالاستعمال الحرّ لوسائل الإعلام، لهؤلاء الذين هم في أغلب الأحيان، عاجزين عن إدراك المغزى الكامل لأهداف الدولة، أو جاهلين لها، بتهديد نجاح ما هو في خدمة الصالح العام

إلاّ أنّ هذا لم يمنع من امتلاك خواص لوسائل إعلامية في النظام السلطوي، و لكن دائما في إطار سلطة الدولة، و هذا بإقرار حق الامتياز ، بحيث أنّ السلطة ، هي التي تختار من بين الأفراد الطابعين، و الناشرين من له حق امتلاك الوسيلة الإعلامية ، و يكون هذا كامتياز يمنح للفرد الذي يظهر ولاءه للسلطة ، و لكن رغم هذا فإنّ الأنظمة السلطوية عبر فترات حكمها ، أوجدت أنظمة للرقابة للتحكّم أكثر في وسائل الإعلام

2 -<u>نظام الامتياز</u>

يتمثّل نظام الامتياز في منح الرخصة لمن تطمئنّ السلطة المطلقة إلى ولائه ، و منعها ممّن تشكّ في ولائهم (. و يعتبر من الأساليب المبكّرة التي استخدمتها السلطة من أجل التحكّم في وسائل الإعلام ، وقد أولت السلطة اهتماما خاصا بالذين يعهد إليهم بنشر كلّ ما يتعلّق بشؤون الدولة وازدهر هذا النظام من الرقابة في إنجلترا خاصة على مدى القرنين 16 و 17م بإنشاء جمعيات أصحاب الامتيازز. فقد كان أفراد هذه الجمعيات (StationerCompany) (شركة القرطاسيين) يتولّون بأنفسهم مراقبة النشر ، وتفتيش و مصادرة كل الأعمال المناوئة للسلطة ، و هذا من أجل الحفاظ على امتيازهم الاحتكاري ، إلاّ أنّ هذا النظام لم يدم و ظهر نظام آخر للرقابة ، و يعود هذا إلى عدّة أسباب و هي :

- توجّه الناشرين الحريصين على توسيع تجارتهم ، إلى استئجار شباب لتعلّم الحرفة ، و ما أن أتقنوها ، حتى غادروا المطابع ، لظروف العمل الصعبة و الشاقة
- تقلّص فرص التشغيل في مجال النشر بسبب الاحتكار، ممّا دفع بالمدربين على حرفة النشر، الاتجاه نحو الأنشطة غير المرخّص بها، فوجدوا في الجماعات الدينية ، و السياسية إطارا ملائما للنشاط و انتقاد السلطة .

- عجز أصحاب الامتياز ، على تقديم إجابات للمواضيع التي كانت تثير الجدل في المجتمع و هذا مع ظهور البروتستانتية كمذهب ديني مجدّد ، بالإضافة إلى الديمقراطية ، و انتشار التعليم

3–نظام الترخيص الرسمي : (Licensing)

يقتضي نظام الترخيص الرسمي أن يقدّم الناشرون أعمالهم في مجالات محدّدة ، كالدين ، والسياسة ، إلى ممثلي السلطة للإطّلاع عليها مسبقا ، و مراجعتها بصفة دقيقة. في بداية الأمر كانت العملية سهلة ، لأنّ المادة الإعلامية لم تكن كثيرة ممّا سمح بإمكانية مراقبة كلّ المواد الإعلامية إلاّ أنّه و مع تطوّر تقنيات الطباعة ، أصبح من الصعب مراقبة كلّ المواد المنشورة ، بالإضافة إلى عدّة عوامل أخرى جعلت من عملية الرقابة بذلك الشكل عملية مستحيلة ، جعلت الأنظمة تبحث عن أساليب أخرى للرقابة للحدّ من حرية الإعلام فلجأت إلى المحاكمة بعد النشر، بعدما كانت تراقب قبل النشر و هو ما يجرّنا إلى الحديث عن النوع الثالث لرقابة

4 - المحاكمة : ((Prosecution

يتمثّل في مثول الأفراد أمام المحاكم، كلّما اعتقدت السلطة كلّما اعتقدت السلطة أنّهم انتهكوا قواعد السلوك القائمة، و المتعارف عليها في مجال النشر كانت التهم الموجّهة للناشرين في مجالين اثنين هما: الخيانة (Treason) ، و التحريض (Sedition)

فكانت تهمة الخيانة تصنّف حسب ثلاثة أشكال :

- محاولة قلب نظام الحكم
- الشروع في نشاطات يمكن أن تؤدي إلى إسقاط الحكومة
- الدفاع عن سياسة ترمي إلى أحداث انقلاب يعتبر خيانة ضد المجتمع

أمّا تهمة التحريض فكانت تستعمل ضدّ المعارضة التي لا يمتثل أعضاؤها إلى قوانين الدولة كما أوجدت الأنظمة السلطوية قوانين تنصّ بإحضار أمام المحاكم ، الأفراد الذين يحاولون من خلال المناقشات العامة ، أو الدعوة الصريحة إلى تغيير ممارسة الدولة

5 - الشراء السرّي للصحف :

بعد فشل الأساليب التقليدية لرقابة الصافة ، لجأت الأنظمة السلطوية إلى أساليب غير مباشرة ، للتحكّم في الرأي العام عن طريق الصحف و هذا إمّا بالشراء السرّي للصحف الخاصة ، أو مساعدتها بأموال الدولة و منع الأموال السرّية لأصحاب الصحف ، و بذلك تشتري ذممهم وضمائرهم

6- <u>الضرائب :</u>

و كان القصد من هذه الضرائب ، إرهاق الصحف ماليا حتى تتوقّف عن الصدور ، أو تخفّف من نقدها للحكومة و كانت توجّه أساسا ، إلى الصحف التي كانت تسعى إلى كسب جمهور واسع ، يضمن لها الاستقلالية المالية عن الموارد الأخرى ، و هو ما يضمن لها بعض الحرية في انتقاد سياسة الحكومة و السلطة فكان هدف الضريبة الخاصة ، تخفيض أرباح الجريدة ، لدفعها إلى الخروج من سوق النشر ، و العودة بذلك إلى تمويل و مساعدة السلطة.

<u>صحافة النخبة:</u>

لقد ظهرت الفكرة الأساسية للصحافة المكتوبة بالقارة الأوروبية في انجلترا ومنها إلى العالم الجديد،حيث أقامتها انجلترا في المستعمرات الأمريكية قبل سنوات من قيام الولايات الأمريكية كدولة جديدة، وكانت صحف المستعمرات توزع على صفوة ونخبة المجتمع تصدر على شكل أوراق صغيرة وكتيبات ،وكان مضمون هذه الصحف على مستوى من التعقيد يتلاءم ومستوى هذه الطبقة التي

كانت تتمتع بكل الحقوق والامتيازات كونها الطبقة الحاكمة المالكة لكل شيء ، فهي من يستطيع أن يتعلم ويقرأ وينشئ الصحف ويموّلها .

مرحلة النظام الليبرالي (1800م : الصحافة الشعبية والصحافة الجماهيرية :

بعد سقوط السلطوية ، ظهرت فلسفة جديدة ، و نظرة مغايرة لطبيعة الدولة ، و الفرد ، والحقيقة ، و المعرفة " فالإنسان لم يعد ذلك الكائن التابع ، الذي يتعيّن إدارته ، و توجيهه كما كان الأمر في ظلّ النظرية السلطوية ، و لكنّه ذلك الكيان العقلاني ، الذي يستطيع التمييز بين الصواب والخطأ ، و بين البديل الأحسن و البديل الأسوأ ، عندما تواجهه وقائع متضاربة ، و اختيارات بديلة والحقيقة لم تعد ملكية السلطة ، و لكن حق البحث ، هو من الحقوق الطبيعية التي لا يمكن إنكارها على الإنسان ، و يكون دور الصحافة في هذا المنظور كمشارك في عملية البحث عن هذه الحقيقة، وهذه أهم الأفكار والأطروحات الفلسفية التي قامت عليها النظرية الليبرالية :

طبيعة الفرد و المجتمع:

يعتبر التصوّر الليبرالي أنّ الوظيفة الأساسية للمجتمع ، تتمثّل في خدمة مصالح الفرد و العلاقة بين حرية الفرد ، و سلطة المجتمع ، تكون على النحو الذي لا يحدث الضرر لأيّ طرف ، و الحياة في إطار المجتمع تجعل من الضروري على كل فرد أن يلتزم باحترام بعض النمط من السلوك تجاه بقية المجتمع و هذا السلوك يتمثل في عدم الإضرار بالمصالح التي تربط أفراد المجتمع ببعضهم البعض، وأن يتحمل الفرد نصيبه من العمل و التضحية التي تفرضها ضرورة حماية المجتمع و أفراده من الضرر.

-**طبيعة الدولة** : يرى المنظور الليبرالي بأنّ الدولة هي الإطار المنظّم للمجتمع ، و لكنّها ليست هدفا في حد ذاتها ، معنى هذا أنّ الدولة عليها أن توفّر البيئة الملائمة التي يستطيع الإنسان من خلالها

استغلال قدراته (فالإنسان يولد حرّ و مزوّد بحقوق طبيعية ، و ليس لسلطة الدولة تقييدها) ، وإذا ما فشلت الدولة في توفير البيئة الملائمة لاستغلال قدرات الفرد ، فإنها (أي الدولة) تتحول إلى عائق ينبغي إزالته من خلال إلغاء العقد الذي يربط الأفراد بالنظام المسيّر للدولة .

-طبيعة الحقيقة

الحقيقة في المنظور الليبرالي ليست حكرا على القلّة الحاكمة ، بل هي شيء قابل للاكتشاف والإثبات من طرف كل الناس ، و الحقيقة في إطار هذه النظرية ، لها سلطة موروثة – أي أنّ قوّتها في ذاتها – فإنّ الرأي (عند ميل مثلا) عندما يكون صحيحا ، يمكن أن يسكت مرّة ، أو مرّتين ، أو عدّة مرّات . لكن و في مسار كلّ الأزمنة فإنّه عامّة سيتواجد هناك أفردا لإعادة اكتشافه في زمن تكون فيه الظروف كي يفلت من الاضطهاد ، و من ثمّ يسجّل بعض الصدارة ، بحيث يصمد في مواجهة كلّ المحاولات المتكرّرة لاضطهاده .وتتحدث الأبحاث في هذه المرحلة عن ظهور نوع جديد ميّز تاريخ وسائل الإعلام ، الصحافة المكتوبة خصوصا ألا وهو الصحافة الشعبية.

المرحلة الثانية: الصحافة الشعبية

مع نهاية القرن السابع عشر 17م سمحت مجموعة من الظروف السياسية والاجتماعية والتقنية الاقتصادية لبعض الدول الأوربية ، نتيجة الثورات الإصلاحية ،كانت في مقدمتها الثورة في بريطانيا العظمى سنة1686م ثم تلتها الثورة الفرنسية سنة 1789م والتي قادها مجموعة من رجال الفكر والإصلاح حيث اعتبرت هذه الثورة ميلاد عهد جديد سمي بعهد النهضة الأوروبية وبداية التأريخ للعصر الحديث ،عصر الفكر والحرية والتنوير، عصر الانقلاب على كل أنواع الظلم الاستبداد والجهل والتجهيل ، التي مارسها الملوك والأمراء ورجال الكنيسة باسم الدين.

وقد أوجدت هذه الثورات مناخا أكثر ملائمة لحرية الصحافة،سمح لها من التحرك أكثر من أجل تلبية الحاجيات الثقافية والتجارية للطبقة البورجوازية ثم لشرائح واسعة من الطبقة الوسطى،حيث عرفت هذه المرحلة ظهور نوع جديد من الصحف عرف باسم الصحافة الشعبية ، صحافة تخاطب القاعدة العريضة والواسعة من الحرفين والعمال والتجار الذين يشكلون الطبقة الوسطى والعاملة ،وهم أهم طبقتين في المجتمع المدني الصناعي ، وقد لاقت هذه الصحافة رواج كبير بسب ارتفاع المستوى العلمي و الثقافي للجمهور نتيجة انتشار التعليم .

- **تطوّر مفهوم الحرية في المنظور الليبرالي**

إنّ فكرة الحرية موروث قديم ارتبط ارتباطا حتمياً بالنشاط الإنساني ، و بالعلاقة بين الأفراد ، و بين الأفراد و الأشياء المادية ، في إرساء أنظمة اقتصادية ، و سياسية تدوم و تبقى)و ارتباط مفهوم الحرية بمجموعة متسلسلة من النضال ، قام بها الأفراد ضدّ أوساطهم السياسية و هو صراع طويل وحاد بين السلطة السياسية ، و المطالبة بمزيد من الحريات ، و الفضاءات للتعبير الحرّ داخل المجتمع، و من هنا فإنّ المطالبة بحرية الصحافة يدخل في إطار تطوّر المجتمع الغربي في أوربا و أمريكا ، و نقصد به التطوّر السياسي خاصة ، لأنّ المطالبة بالحقّ في الإعلام يدخل في إطار المطالبة بمجموع الحقوق السياسية الأخرى ، كالحق في المشاركة السياسية ... و أنّ تطوّر مفهوم حرية الصحافة ارتبط بظروف ، و عوامل نحصرها في عاملين أساسين هما :

- نضال أصحاب المطابع و الناشرين، و الصحافيين ضد المبادئ السلطوية
- أفكار و كتابات الفلاسفة، و المفكرين في عصر التنوير.

- **جريمة التحريض :**

كانت الميزة الأساسية للمحاكمات المرتبطة بجريمة التحريض ، التي كان يحاكم عليها الصحفيين في ظل النظام السلطوي (و طبقا للتشريع الانجليزي) أنّ تحديد خطورة العبارات ، و درجة التحريض في

المقالات ، يوكل للقاضي الذي يلمسها بمجرّد القراءة ، أماّ مسؤولية الشخص (الماثل أمام المحكمة) في المقال فكانت من مهمّة المحلّفين إلاّ أنّ رفض المحلّفين لهذا التقسيم جعلهم لا يرفعون تقاريرهم إلى المحاكم ، مماّ سبّب شللا للمحاكمات ، و هذا ما دفع إنجلترا مثلا إلى إصدار قانون Fox عام 1792م يعطي صلاحية تحديد مدى خطورة المادة المنشورة للمحلّفين كان من المفروض أن يعطي هذا الإجراء دفعا جديدا لحرية الممارسة الإعلامية ، بحكم أنّ تحديد خطورة المادة المكتوبة ابتعد من أيدي القضاة إلاّ أنّ المحلّفين أيضا بقوا مصرّين على أنّ كلّ ما يمسّ بسمعة الحكومة ، هو مخالف للقانون ، و إن كان هذا المكتوب صحيحا ، فلم يتمّ إقرار " **الحقيقة كوسيلة للدفاع** " إلاّ بعد إصدار قانون برلماني في إنجلترا ، أماّ في الولايات المتحدة الأمريكية فإنّ التعديل الأوّل للدستور عام 1791م ينصّ على أنّه **"لا يحق للكونغرس سنّ أي قانون من شأنه أن يقيّد حرية الكلمة أو الصحافة**

- **مناقشات البرلمان :**

لم يكن يحقّ للصحفي حضور مناقشات البرلمان ، حتى لا يتدخّل المواطن في مسائل التشريع ، وسنّ القوانين ، إلاّ أنّ الصحفيين و رجال الإعلام ،كانوا يرون بأنّ البرلمان إذا كان يمثّل مصالح الشعب ، فينبغي أن تكون مناقشاته مفتوحة للمواطنين ، و بما أنّ الصحافة هي وسيلة الاتصال بالجماهير ، عليها أن نخبر المواطنين بكلّ ما يجري في البرلمان ، و ليس من حقّ هذا الأخير منعها من تأدية هذه المهمّة و هو ما حدث بالفعل ، فقد سمح للصحفيين بدخول البرلمان و تغطية نشاطاته

المرحلة الثالثة ميلاد الصحافة الجماهيرية الكبرى:

عندما توفرت الظروف الملائمة لتمويل وإصدار جريدة رخيصة الثمن لتوزع على نطاق واسع وعندما تطورت الجوانب الفنية والتقنية الخاصة بسرعة الطبع والتوزيع ولدت أول وسيلة إعلامية جماهيرية عرفت بصحيفة **البنس** بمدينة نيويورك في منتصف الثلاثينات من القرن التاسع عشر

وكانت بداية عهد جديد عرف بعهد الصحافة الصفراء أو صحافة الإثارة (أي الصحافة التي تتناول المواضيع التي من شأنها أن تثير العواطف والغرائز الإنسانية) أو الصحافة الفنية (أي الصحافة التي تتناول أخبار الفن و الفنانين الذين تحولوا إلى مشاهير ثم إلى نجوم إعلامية تسعى الصحافة إلى معرفة وقائع وأحوال حياتهم الشخصية). وعرف بعد ذلك العقد الثالث من القرن التاسع عشر تطور كبير لتكنولوجيا الطباعة السريعة ، وارتبطت الفكرة الأساسية للصحيفة بأول وسيلة إعلامية جماهيرية حقيقية في عالم الاتصال.

تميز هذا النوع من الصحافة بأنه قام - بإعادة صياغة الأخبار لتلاءم أذواق و مصالح و مهارات وقدرات المستويات الأقل تعليما في المجتمع ... و في الوقت الذي كانت فيه الأخبار و الأنباء تتجه نحو التقارير حول الأحداث الاجتماعية و التجارية و السياسية ذات الأهمية الكبرى ... فان صحافة البنس اتجهت نحو ... التقارير عن الجرائم و قصص الخطيئة و المصائب و الكوارث.. فكانت الصحيفة تتجه إلى الجمهور الذي تعلم القراءة مؤخرا و بهذا أوجدت لنفسها جمهورا من الطبقة المتوسطة الصاعدة ، و التي شكّلت و أصبحت تمثّل الطبقة السائدة في المجتمع الغربي و خاصة الأمريكي الذي يسميه **ليو بوقارت**في كتابه **عصر التلفزيون** مجتمع الطبقة المتوسطة.

و هكذا أسّس هذا النوع الجديد عهدا جديدا في حياة الصحافة المكتوبة، و هو عهد الصحافة الجماهيرية، و في نفس الوقت أسّس لمشكلة ثقافية داخل المجتمع، و هي مشكلة الثقافة الجماهيرية، خاصة مع رواج الصحافة الصفراء التي حوّلت الصحيفة إلى (أي وسيلة مثيرة بجذب المزيد من القرآء بصرف النظر عن مدى فجاجتها أو سطحيتها، و ضحالتها

و يقول **Edwin Emery** في حديثه عن هذا النوع من الصحافة - أغلق الصحفيون الصفر كل قنوات الأخبار التي كان المواطن العادي يعتمد عليها ، بتجاهل صريح و مباشر للقيم و المسؤوليات الصحفية و كان كل هدفهم هو الإثارة و البهرجة مهما كانت سقيمة الأذواق ... و قد أساءت الصحافة

الصفراء استغلال أساليب الكتابة، و الصور، و الطباعة التي كانت مثار فخر الصحافة الجديدة وحوّلتها بعيدا عن هدفها الأصلي حيث استخدمتها كوسيلة للإفساد و التضليل ... و بدلا من أن تقدم هذه الصحف لقرائها القيادة المؤثّرة، قدّمت لهم مجرد مسكنات من الخطيئة، و الجنس و العنف– .

و هكذا فان الصحافة التي كانت وسيلة لتعميم الثقافة في المجتمع تحوّلت إلى وسيلة للترفيه والتسلية، و تقديم أنماط سلوكية و تصوّرية تهدف إلى تسويق المنتوج ثقافيا كان أم تجاريا، رغم أن ردود الأفعال الاجتماعية التي أثارتها المضامين الرديئة للصحافة داخل المجتمع جعلت الاتحاديات المهنية للمحررين و الناشرين تضع مواثيق صحفية لإرشاد الممارسة الصحفية، و لكن دائما مع المحافظة على الطابع التجاري الذي تقوم عليه الصحافة المكتوبة.

عوامل ظهور الصحافة المكتوبة

لم يكن انتقال المجتمع الغربي (الأمريكي و الأوربي) من نظام سياسي سلطوي ، إلى نظام سياسي ليبرالي نتيجة صدفة ، بل كان سنوات طويلة من النضال السياسي ، من أجل الحصول على الحقّ في أكبر قدر من الحرّيات العامة (السياسية عامة) و الحقّ في حرّية التعبير بصفة خاصة ولقد ساهمت الكثير من العوامل ، المرتبطة بتطوّر المجتمع ، على تحقيق هذه الانتقال ، و هي **عوامل ثقافية ، وسياسية ، و اقتصادية الخ أدّت إلى بروز نظرية أخرى للصحافة و هي النظرية التي ميّزت المجال الإعلامي في أوربا منذ بداية القرن 18 سمّيت بالنظرية الليبرالية** إنّ تطوّر الديمقراطية السياسية ، و حرية المعتقد ، و توسّع التبادل التجاري الحرّ ، و السفر و الجوّ الفلسفي العام الذي ميّز عصر التنوير ، قد هزّ أسس الفلسفة السلطوية ، و هيّأ الظروف لبعث نظرية بديلة هي النظرية الليبرالية . و من العوامل التي ساهمت في إحداث هذا التغيير نذكر:

العامل الديني والفلسفي :

أ – أثر المكشوفات الجغرافية ، و الابتكارات العلمية في عقول الناس ، بتأكيدها على عقلانية الكون ، و إمكانية فهمه من خلال التحليل المتأنيّ

ب – لعب الإصلاح الديني البروتستانتي في القرن 16 (إنجلترا) دورا أساسيا في زعزعت سلطة الكنيسة الكاثوليكية ، و هذا بظهور عدّة مذاهب تؤمن بدين طبيعي ، مبني على العقل لا على الوحي

ج – ظهور الطبقة الوسطى في أوربا الغربية ، ساعد على نشوء الليبرالية من خلال التطلّعات الجديدة لهذه الطبقة ، و التي استلزمت من أجل الحفاظ على مصالحها ، وضع حدّ للنزاعات الدينية ، و كذلك قيود على السلطة الملكية ، و الامتيازات الخاصة في المجتمع

د – مساهمة الفلسفة السياسية ، التي أسّس لها الكثير من المفكّرين ، منهم خاصة (و هو من الأوائل) "**جون لوك** " حول العقد الاجتماعي ، الذي يتنازل بموجبه الأفراد طواعية ، عن بعض حقوقهم ، مقابل ضمان مصالحهم و استقرار حياتهم

و بهذا فإنّ كل هذه العوامل مجتمعة ، أدّت إلى ظهور نظام جديد يقوم على تحرير الإنسان من القيود ، و تمكينه من المشاركة السياسية ، و الاقتصادية ، و الاجتماعية .

العامل السياسي:

الصحافة ارتبطت في تطورها بالبعد السياسي في العملية الاجتماعية و ان الصحافة تطورت وتشكلت ببطيء في المجتمعات التي تميزت أنظمتها بالقوة المركزية – بريطانيا و فرنسا، أوربا عامة– في حين أن البلدان التي كانت فيها السلطة المركزية ضعيفة فان الصحافة عرفت فيها تطورات سريعة (الولايات المتحدة الأمريكية).

بصفة عامة ترى **جوديث لازار** بان الأفراد العاديين يقومون بأدوار فعالة في تحديد مصيرهم – السياسي خاصة – فان توزيع و انتشار الأخبار و الآراء السياسية يصبح مسارا أو صيرورة هامة و ذات دلالة في المجتمع – يحدث في المجتمعات التي تتسم باللامركزية – لان المجتمعات التي تكون فيها الحكومة مركزية و سلطوية فان النقاش العام بمشاركة المواطنين ليست مهمة و لا ضرورية لهذا فان المجتمعات التي عرفت نوعا من اللامركزية في تسيير شؤونها هي التي عرفت تطورا سريعا للصحافة كعامل يساعد على النقاش العام و المشاركة الواسعة للمواطنين.

عرفت الصحافة تطورها و ازدهارها مع سقوط الأنظمة الملكية القديمة، و هي الفترة التي تميزت بالصراع و النضال من اجل مبدأ حرية التعبير عرفت تلك الفترة ظهور و ميلاد مفاهيم جديدة للديمقراطية السياسية و الحدث الذي ميز و غير مسار المجتمعات الغربية و الذي ساعد على تطور الاتصال الجماهيري خاصة فيما يتعلق بحق الفرد في المشاركة السياسية عن طريق الانتخاب و الذي أعطى مبررا للصحافة في المشاركة الفعالة في النقاشات مع فتح صفحاتها للنقاش السياسي و هذه الفترة جعلت من الجريدة منبرا سياسيا و مكانا للنقاش العام .

إن تغيير المؤسسة السياسية أدى في نهاية الأمر إلى تسليم سلطة و قوة الصوت الانتخابي لغالبية المواطنين و قد أدى هذا التغيير الطويل و المعقد إلى إرساء دعائم تقاليد الصحافة و التي جعلت الصحيفة -منذ البداية – ساحة للحوار العام و الاحتجاج و التعليق السياسي

العامل التقني الصناعي :

بالإضافة إلى اختراع الطباعة و تطور الفن الطباعي الذي أدى إلى اتساع حجم الجمهور المتابع لها بعد ما كان مقصورا على فئات خاصة، إضافة إلى إنشاء الخدمات البريدية و تنظيمها مما ساعد على جمع الأخبار و نقلها و تبادلها، و أدى إلى الرواج الذي عرفته الوسائل الإخبارية و الدوريات. كما استفادت الصحف من الاختراعات الجديدة خاصة تطوير خطوط السكك الحديدية و خدمات

البواخر و مختلف وسائل النقل البرية البحرية و الجوية التي سهلت عملية توزيع الصحف و يسر للصحافيين الوصول إلى مصادر الأخبار و المعلومات بالإضافة إلى اختراع الوسائل البرقية و التلغرافية، و نتائجها الإيجابية على تطور العمل الصحفي.

العامل الاجتماعي الثقافي :

ظهرت في المجتمع الغربي طبقة متوسطة تحتل الصدارة في النظام الاجتماعي الجديد بعد زوال المجتمع الإقطاعي القديم – و هذه الطبقة المتوسطة... بدأت هي نفسها تشكل جمهورا ليس فقط بالنسبة لآخر أنباء المعاملات التجارية – و الذي كان أساسيا بالنسبة إليه – .و لكن أيضا بالنسبة للتعبير السياسي و المقالات و الشؤون الأدبية و مع تطور هذه الطبقة و نموها نمت معها تطلعاتها ومصالحا التجارية و أصبحت تشكل جمهورا عملت الصحافة فيما بعد على استهدافه و إثارته و كذا استمالته.

و لقد لعبت عدة عوامل أدوارا في تمكين الصحافة من الوصول إلى الأفراد الذين يشكلون هذه الطبقة و التي أصبحت الطبقة المهيمنة في المجتمع الغربي خاصة الأمريكي منه فبالإضافة إلى العوامل التي سبقت الإشارة إليها و هي تغيير الأدوار السياسية للمواطنين العاديين ونموذج الروح التجارية .ونمو الطبقة المتوسطة فان التطور التكنولوجي الذي عرفته صناعة الورق – أي الطباعة – جعل إنتاج أعداد كبيرة من الصحف في فترات زمنية قصيرة ممكنا مما أعطي دفعا في تزايد كميات الصحف الموجهة للجمهور الواسع في أماكن بعيدة من القارة و مما سهل من عملية جمهرة هذه الصحافة الانتشار الواسع بين أفراد المجتمع .الانتقال من ديمقراطية التعليم إلى إلزامية و وجوب التعلم، مما سهل على تجاوز حاجز الجهل و الأمية الذي صاحبه انتشار فضاءات العلم و التعلم و إقبال مختلف شرائح المجتمع على المدارس، الشيء الذي ولد لديهم حب الاستطلاع و القراءة.

الدور الذي لعبته وكالة الأنباء في توزيع الأخبار و تنويع مجالاتها و تسويقها للصحف التي لم تكن قادرة على استقدام أعداد كبيرة من المندوبين الذين تراسلهم لتغطية الأحداث.انخفاض سعر بيع النسخة الواحدة للصحيفة و ظهور صحافة البنس (صحافة رخيصة الثمن)، و الانتقال من نظام الاشتراك إلى عملية البيع بالنسخة الواحدة.

الآثار:

كان من بين الآثار الكبيرة التي تركتها الثورة الصناعية على الصحافة المكتوبة في منتصف القرن التاسع عشر، هو الاختلاف الكبير في أنواع الصحف اليومية و منها الصحف الشعبية و الصحف الجادة، هذا التنوع أدى إلى ظهور صحف متخصصة في الرياضة و الأدب و الجمال، و ظهور دوريات فصلية تتنوع حسب حقول تحريرية متعددة، و منها المجلات النسائية و مجلات الأطفال.

كما أتاحت هذه العوامل و الظروف للصحافة أن يكون لها تأثيرات كبيرة على المفاهيم السياسية والاجتماعية، و تبني طرائق التفكير و أساليب الحياة المتطورة و مواكبة الأنماط الجديدة لحياة العصرنة و الحداثة، فظهرت مفاهيم جديدة مثل : المجتمع الجماهيري، المجتمع الاستهلاكي... كما كان من نتائج هذا التطور من الناحية الاقتصادية ضخامة التكاليف المالية للمؤسسات الصحفية التي يلزمها من التكاليف الكبيرة للإنتاج الفكري و الأدبي و الصحفي، الشيء الذي حول المؤسسات الصحفية من مؤسسات إعلامية إلى مؤسسات تجارية اقتصادية صناعية.

مميزات الصحافة المكتوبة

تتميّز الصحف عن باقي وسائل الاتصال الجماهيرية الأخرى بأنها "تسمح للقارئ بالسيطرة على ظروف التعرّض كما تتيح له الفرصة لكي يقرأ الرسالة أكثر من مرّة ". أي أن القارئ له الوقت الكافي لقراءة المادة و إعادة القراءة ممّا يسمح له بالتدبّر، و إعادة النظر فيها من حيث التعرّض و ليس من حيث التدخّل في المضمون. كما أن الصحيفة تسمح بتطوير و تناول المواضيع التي تكون طويلة ومعقّدة

" و ظهر بان المواد المعقّدة من الأفضل تقديمها مطبوعة من تقديمها شفهيا ". بمعنى أن القارئ بإمكانه التحكّم في المادة الإعلامية مهما كانت طويلة أو معقّدة ،لأنها في متناوله و هذا عكس الراديو مثلا ، أو التلفزيون حيث لا يستطيع المشاهد إعادة اللقطات أو الكلمات التي قد تفوته في برنامج من البرامج .بالإضافة إلى هذا فان المضمون الصحف ي أقلّ اكتمالا من المضمون التلفزيوني مثلا أو الراد يوفوني ، و هو ما يتطلّب مساهمة القارئ في تأويل ما يقرؤه بلغة أخرى فان المضمون الصحفي اقلّ تنميطا من المضمون التلفزيوني ، أو الراديوفوني أو الفيلمي .

نشأة الإذاعة وتطورها

مقدمة:

لقد تزايدت بشدة حاجة الناس إلى وسائل اتصال سريعة يعتمد عليها عبر المسافات الطويلة مع تزايد و تعقد المجتمعات ،فعندما كانت الأنشطة الاجتماعية مقصورة على مدى محدود أو مجموعة صغيرة تتنقل معا أو تستقر في قرية معينة،كان حينها مدى الصوت البشري كافي كوسيلة للتغلب على مشكلات الاتصال،و لقد تم اختراع مجموعة كبيرة من الاختراعات التقنية ،واستخدمت هذه الأدوات عبر القرون المتتالية لإيجاد حلول لهذا النقص الحضاري،و رغم ذلك،فإنها(وسائل الاتصال) كانت محدودة للغاية،معظمها يتوقف على توفر طقس أو مناخ ملائم لذلك،بينما كان الباقي قادرا على فقط على نقل الرسائل البسيطة.و مع مستهل القرن 19 بدأت الحاجة في المجتمعات الغربية تصبح ملّحة لوسائل اتصال سريعة قادرة على عبور المحيطات ، فقد تزايد إيقاع المعاملات الاقتصادية والتبادلات التجارية بين العواصم الأوروبية ، التي شهدت ميلاد الثورة الصناعية ، كما اعتبرت بعض الدول كبريطانيا العظمى ، فرنسا و ايطاليا كإمبراطوريات استعمارية حقيقية عملت على بناء أساطيل حربية وأساطيل تجارية عظمى ، حوّلت هذه المستعمرات العربية و الإفريقية إلى أسواق استهلاكية لمنتجاتها

عوامل تطور الإذاعة

- **العامل التكنولوجي:** إن ما نسميه اليوم بالراديو كان مجرّد وسيلة للبث يعرف بتسمية " تلغراف لاسلكي T S F Telegraph San Fil فيعود اختراع هذا الجهاز إلى أعمال و اكتشافات Galvani سنة 1786 ، ثم تلك التي قام بها Faradayو Maxwell على الموجات الكهربائية ، بالإضافة إلى تجارب Hertz سنة 1887 على الموجات و التي حملت اسمه فبما بعد إلا أنّ التحوّل الحقيقي حدث مع أعمال Guglielma Marconi الذي استطاع أن يجد أوّل مبدأ للاتصال الراد يوفوني Radio)(Communication من خلال نقل أوّل إشارة كهربائية في الفضاء ، فقد استطاع أن يحقق الاتصال الصوتي بين باخرتين تبعد الواحدة عن الأخرى اثنا عشر 12 ميلا كانت هذه المحطات هي الأولى لنقل

الأصوات بين الأماكن المتباعدة ،وتمكن برسائله اللاسلكية عبور الأطلنطي ، إلا أنّ نقل الصوت البشري عن طريق الفضاء كانت سنة 1876 مع Graham Bell ، أماّ الأمريكي Lee De Forest فقد استطاع سنة 1907 أن يضع جهازا يسمح باسترداد الصوت البشري ، و هو ما فتح المجال لاستبدال " الراديو التلغرافي " Radio Telegraph "بالراديو الصوتي (Radiophonie و كان ذلك بداية " الإذاعة الراديوفونية ".

وتعتبر أعماله الثمرة النهائية لأكثر من قرن كامل من البحث العلمي وهي إحدى الخطوات على طريق تطور الراديو كوسيلة فورية للاتصالات بعيدة المدى.وبحلول العقد الأول من القرن العشرين(ق20) (1900-1910 م) أصبح الراديو وسيلة أساسية في أيدي الأوساط التجارية والعسكرية والحكومية لنقل المعلومات.

<u>البعد التجاري</u>

تعتبر المجموعات التجارية الخاصة ، الأولى التي بادرت بإنشاء محطات التلغراف اللاسلكي و هو ما جعل الصراع يحتدم بين مختلف هذه المجموعات و المؤسسات من أجل استغلال الموجات ، مماّ دفع الحكومة إلى تعسير عملية الاستفادة من محطات البث و ما يمكن الإشارة إليه هو أنه عكس الصحافة المكتوبة و السينما ، فان الإذاعة لم يكن بالإمكان تركها للخواص دون تدخل الحكومة ، على الأقل من أجل تنظيم البث فمع تداخل المحطات كان لا بد من تنظيم عملية البث الإذاعي ، و فرضت بذلك تراخيص للاستفادة من ساعات البث ، و حق الاستفادة من تردّدات الموجات ، و كان وزير التجارة هو الذي من حقّه تقديم هذه التراخيص إلا أنّ هذا لم يدم طويلا " ففي عام 1926 أصدرت إحدى المحاكم الفدرالية حكما بأن وزير التجارة ليس من حقّه فرض أية على قوّة المحطات أو ساعات عملها، أو التردّد الذي تبثّ عليه برامجها " و تمّ الرجوع إلى قانون 1912الذي اعتبر القانون الوحيد الموجود الخاص بتنظيم الراديو ، إلا أن هذا القرار أحدث فوضى في مجال البث الإذاعي ، و هو ما

جعل الكونغرس الأمريكي يقرّر عام 1927 بأن تكون الموجات الهوائية ملكا للشعب ، و أنّ الأفراد يمكنهم استخدامها فقط في حالة الحصول على تسريح رسمي من الحكومة ... يكون محدودا و قصير المدى، و كانت التسريحات تمنح أو تلغى على أساس ارتباطها بالصالح العام أو فائدتها، أو ضرورتها، وشكّلت بذلك " لجنة فدرالية للاتصالات ") (FCC لتقوم بمهمة تقديم أو رفض هذه الترخيصات ليكون بذلك قانون الاتصالات الفدرالي لعام 1934 هو أداة التنظيم الرئيسية لصناعة الإذاعة في الولايات المتحدة. واستمرت وسيلة الإعلام الجديدة تعاني بشدة من مشكلتين رئيسيتين:

أحدثت المشكلة الفنية الخاصة بتداخل الدبدبات واختلاط الأمواج الصوتية بين الإذاعة فوضى وتشويش في سماء التقاط البرامج لدى الجمهور الجديد المقبل عليها بشغف كبير.مع وجود آلاف من الهواة الذين يجب حماية حقوقهم أي حوالي 500 محطة إذاعية كبرى تعمل بشكل منتظم. كانت 1400 محطة صغيرة تتنافس من أجل التقاط هذا الخليط من الإشارات إلى حد لم يعد بالإمكان السيطرة عليها،رغم أن الحكومة الأمريكية عقدت أربعة مؤتمرات كبرى في واشنطن ما بين 1923-1925 لحل هذه المشكلة التقنية،أنفق الأمريكيون خلال < 136 مليون دولار.ارتبطت هذه المشكلة بكيفية تمويل البرامج ودفع ثمن الإذاعات.فقد جاءت عدة محاولات ومن مختلف الجهات المسئولة عن الإذاعة لحل هذه المشكلات المالية:

أ- بينما كان بوسع شركات صناعة الأجهزة الكهربائية الكبرى أن يقوم بتمويل المحطات التابعة لها من أرباح مبيعات أجهزة الاستقبال،إلا إن ذلك كان بمثابة وسيلة محدودة على أحسن الظروف،لم يكن مفيدا بالنسبة لأصحاب المحطات من غير الشركات التي لا تصنع الأجهزة الكهربائية،لذلك لم تعد هذه المحطات قادرة على الاستمرار في العمل، بقية تلك التي لديها موارد مالية كبرى.لكن في نفس الوقت، استمرت الصناعة الجديدة المندفعة بقوة تبحث عن

وسائل ملائمة للدعم المالي، بقي هذا الصراع إلى غاية منتصف العشرينيات من القرن العشرين، حيث حاولت:

ب- لجنة من رجال الإذاعة جمع التبرعات من جميع المستمعين كمحاولة لحل هذه المشكلة المالية، إلا أن هذه الجهود جاءت ضئيلة،وقررت غالبية المستمعين أنه من الأفضل لهم الاستماع الحر لما يلتقطونه بالصدفة (مجانا) بدل الدفع المباشر من أموالهم.

ج -اقترح **ديفيد سارنف** (رجل أعمال روسي الجنسية) على أهل الخير من الأثرياء أن يتبرعوا للمحطات الإذاعية كما يفعلون مع المستشفيات والجامعات والمكتبات. إلا أن هذا الاقتراح لم يدم طويلا وكان مصيره الفشل.

الإعلانات التجارية

بدأت الإعلانات تظهر في نفس الوقت كمصدر تمويل ملائم للمحطات الإذاعية التي عانت من ثقل تكاليف الإنتاج، فبدأت الشركات الكبرى تموّل البرامج. لم تكن لهذه الشركات في بداية الأمر رسالة إعلانية مباشرة لمنتجاتها، وكان اسمها يذكر فقط كمموّل للبرامج، وهو ما جعلها لا تتعرض للكثير من الانتقادات. رغم هذا كانت هناك انتقادات حول إقحام الإعلان في الراديو ، فكان وزير التجارة يقول بأنه " ليس من المفهوم كيف نسمح لهذه الإمكانية الهائلة التي تقدّم خدمات و أنباء وترفيه ، و أغراض تجارية حيوية أن تغرق وسط بحر من الثرثرة الإعلانية "إلا أنّ مثل هذه الآراء لم يكن لها صدى في المجتمع ، و يبرّر "ملفين ديفلير" هذا بطبيعة النظام الاجتماعي من جهة ، والظروف الموضوعية التي كانت محيطة بتطوّر الإذاعة الراديوفونية ، فيقول " فمع تفضيل المستمعين للترفيه المجاني على نوعية البرامج الإذاعية ، و مع اقتصار دور الحكومة على الجوانب الفنية ، و على رأسها عدم تداخل و اختلاط التردّدات ، و مع وجود ملكية وسيلة الإعلام الإذاعي في أيدي شركات و مؤسّسات تسعى للربح ، لم تكن آراء وزير التجارة و مؤيديه تتفق مع نظام القيم والبناء السياسي و المؤسسة الاقتصادية في المجتمع

والتي كانت الإذاعة تتطور بداخلها و هكذا تكرّرت مع الإذاعة نفس القوى الاقتصادية و الاجتماعية التي أدّت بالصحف إلى التحوّل نحو بيع مساحات للمعلنين حتى يمكنهم بيع منتجا تهم لجمهور واسع فكان الإعلان في بداية الأمر منضبطا و يتسم بالوقار ، و لكن سرعان ما تزايدت مباشرته و توجّهه نحو الهدف ، فحصّل المسئولون عن الإذاعات أرباحا كبيرة من بيع مساحات زمنية للمعلنين ، و لذلك تمّ الوصول إلى جمهور عريض في المجتمع أهّل الوسيلة بأن تكون وسيلة إعلام و اتصال جماهيري .

البعد الثقافي:

احتلت الموسيقى منذ البداية مكانة مميّزة في برامج الإذاعة ، و كان الاهتمام بجلب المستمعين سرعان ما أدى إلى اعتناء أكبر بالموسيقى الشعبية ، و موسيقى الرقص ، و الأغاني ، و المنوّعات كما نالت المحادثات الهزلية نجاحا كبيرا ، و كلّما زاد تطوّر الإذاعة أصبحت أكثر تخصّصا – خاصة و أنّها أصبحت تستغرق كل النهار – فأصبحت تنقل نشاطات متنوّعة من حفلات موسيقية، و أغاني ، ومسرحيات ، و محاضرات ، و قراءة مقاطع مأخوذة من كتب أو جرائد و ظهرت بعد ذلك أنواعا جديدة إذاعية مسرحية ، و مسلسلات راديوفونية ذات مفعول على المشاهدين كحرب العالمين بمدينة "نيو يورك " في 03 أكتوبر 1938 .

لقد ارتبطت برامج الراديو مع نهاية العشرينيات بالمسلسلات الإذاعية أو ما يعرف ب" الأوبرا الصابونية «(Soap Opera) و التي كانت توجّه في النهار للنساء خاصة ، و التي عرفت رواجا كبيرا ، وممآ ساعد على بقائها ، عدم تكلفتها لأثمان باهظة خاصة في مرحلة الثلاثينيات و الأربعينيات، و هو" ما جعل أصحاب المحطات الإذاعية يهتمون بها و يطوّرونها ... فكانت رواياتهم تدور حول حياة الناس العاديين".وتطرح إشكاليات عائلية كالزواج، والطلاق، والنزاعات المختلفة الأخرى فجلبت إليها جمهورا النساء خاصة – فأصبحت الكثير من هذه المسلسلات المنتظمة (أي التي تبث بانتظام) تنمط الأعمال

المسلّية في الراديو وكذا تطلّعات المستمعين، فأصبح على الشّبكات الإذاعية أن تذيع المسلسلات طول السنة من أجل بناء جمهور لصاح البرنامج طوال السنة (والزمن).

وهذا الرواج الذي عرفته هذه المسلسلات دفع بأصحاب الإشهار والإعلان إلى الاستثمار في هذا المجال فأصبحت تقوم هي بالإنتاج وتنظر في كل التفاصيل هي التي تقبل أو ترفض المخطوطات والقصص، وحتى الممثلين، بما يخدم أهدافها الجماهيرية والتجارية، فتمّت عرقلة معظم تجارب الدراما الإذاعية

البعد السياسي:

تمثل هذا البعد في القدرة التي أظهرتها الإذاعة كوسيلة اتصال،وأيضا كوسيلة إقناع وتأثير، على الجماهير خاصة أثناء فترة الحرب العالمية الثانية فقد وظّفت ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية هذه الوسيلة بدرجة كبيرة من الإتقان في بثّ وإذاعة الأيديولوجية النازية،والفاشية إضافة إلى الدور الذي لعبته في رفع معنويات الجنود أو تحطيمها فقد كانت " تذيع الرسائل الإعلامية حول الحرب والدعاية الداخلية،وشنّ الحملات لحثّ المدنيين على ترشيد استخدام المواد الهامة التي يحتاجها الحربي "

مميزات الراديو

يعتبر الراديو من الوسائل التي يمكن أن تصل إلى جميع السكّان بسهولة متخطية حاجز الأمية، والحواجز الجغرافية.كما يمكنه الوصول إلى جماعات خاصة كالأفراد كبار السن، والأطفال.

- الراديو لا يكلّف المستمع جهدا – معرفيا خاصا–
- الرسالة المذاعة قد تكون أكثر فاعلية من الرسالة التي تنقل بالاتصال الذاتي، وأنه يسهل التذكّر خاصة عند الفئات الأقلّ تعلماً
- الراديو تشعر الفرد المساهمة،والاقتراب.